المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية
المجلد الخامس عشر - العدد الثالث ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣

WWW.ATTAWEEL.COM

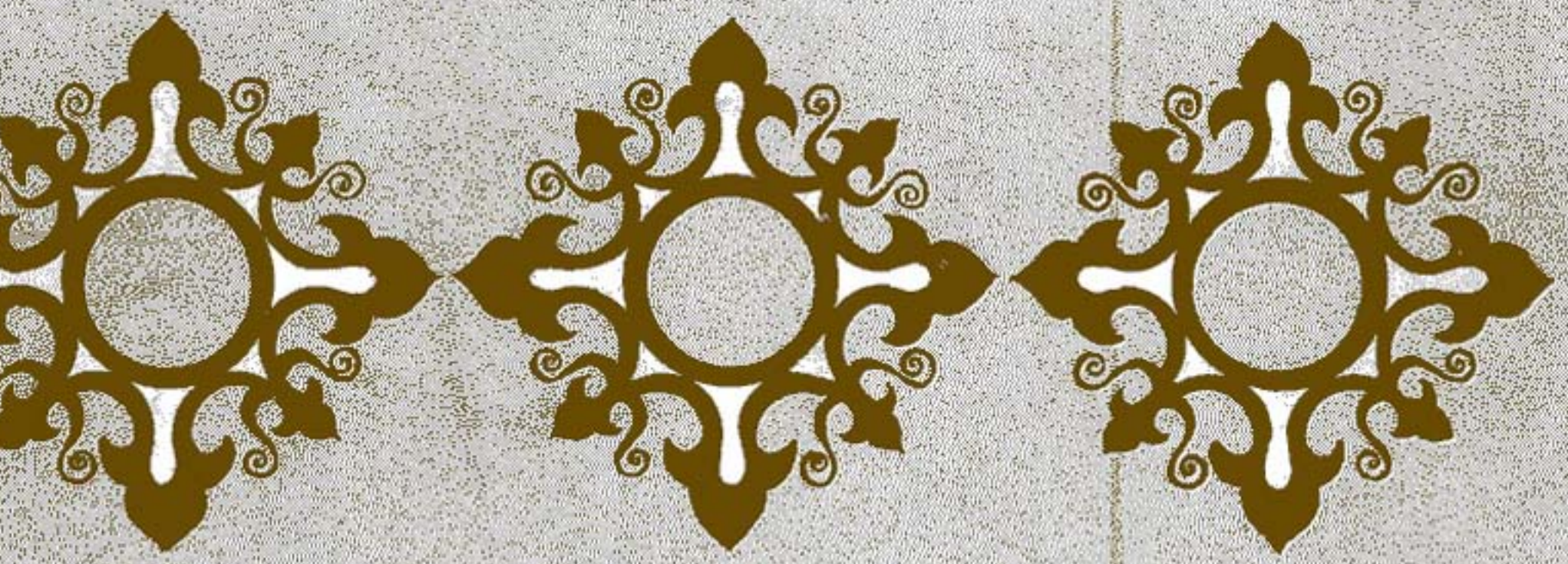

أسد الدين محمد

دور « أهل ميسان » في الدفاع عن عروبة العراق

الدكتور
فاروق عمر فوزي
كلية الاداب / جامعة بغداد

لعل من اهم ما يجب ان يؤكده مؤرخونا في العراق مسألة ابراز المثل والقيم التي تمسك بها اهل العراق وحاربوا من اجلها عبر التاريخ وتجسيد هذه المثل عن طريق ضرب الامثلة التاريخية للتجارب السياسية التي خاضها شعبنا على امتداد العصور ، وربما كان من ابرزها واوضحها غريزة الولاء للوطن وترسيخ وحدته ضمن الاطار القومي ومحاربة الاتجاهات المعوقة والحركات المناهضة والمفرقة لهذا الولاء الاصيل للوطن ووحدة شعبه(١) .

وسنحاول في بحثنا هذا ان نبرز نموذجين اثنين في حب الوطن والولاء له شارك بهما « اهل ميسان » كجزء اصيل من اهل العراق خلال العصر العباسي وضربوا بذلك اروع الامثلة في البذل والعطاء دفاعا عن تربة الوطن ووحدته وحفاظا على القيم والمثل العربية الاسلامية التي كانوا ومازالوا متمسكين فيها ضد نعرات الطائفية والتفوق العنصري الفارسية باعتبارها خرافة غريبة عن الارث الحضاري الانساني العربي الاسلامي لا تشفع لها حقائق التاريخ الموضوعية . ويبدو ان مصطلح « ميسان » اعلق في الأصل على مدينة قديمة عند ملتقى نهر كارون بنهر دجلة الصوراء (شط العرب الحالي) أشير اليها باسم (ميسان) بالسريانية والارامية(٢) . وقد حافظ العرب المسلمون على هذه التسمية بعد تحريرهم العراق من السيطرة الساسانية وظلت مستعملة عبر العصور الاسلامية الوسيطة . وربما تداخلت كورة ميسان في عصر الخلافة العربية الاسلامية مع ولاية واسط اداريا كما تداخلت قبائلها بعضها مع البعض الاخر . ومن هنا تأتي ملاحظة الدكتور عبدالقادر المعاضيدي(٣) حول تباين معلومات البلدانيين المسلمين عن حدود اقاليم دجلة الجنوبية وعن اختلاف الجغرافيين المسلمين في تحديد مدنها الرئيسة .

اما سكان منطقة ميسان فقد كانوا عربا منذ القدم . فقد استوطنها الآراميون من عرب الجزيرة منذ العصر الاشوري وتمكنوا ايام الفرس الاخمينين ان يكونوا دولة مستقلة هي « امارة ميسان العربية » . وقد اشار احد المؤرخين الى ان « كورة ميسان كانت تعود لامير عربي زمن الاسكندر المقدوني في القرن الرابع ق م »(٤) .

على ان انتشار العرب في العراق ومدهم المتواصل من الجزيرة العربية باتجاه الشرق قبل

---

(١) راجع فاروق عمر ، دور التاريخ في عملية التوعية القومية . المجلة التاريخية ، العدد الخامس ، ١٩٧٦ ، ص ١١٤ .

(٢) منذر البكر ، الجذور التاريخية لعروبة الاحواز ، ١٩٨١ ص ٤ .

(٣) عبدالقادر المعاضيدي ، واسط في العصر العباسي ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٢٩ .

(٤) راجع : منذر البكر ، المصدر السابق ، ص ٦ فما بعد .
ـ نزار الحديثي ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، (ضمن كتاب الحدود الشرقية) دراسة تاريخية ، ١٩٨١ ، بغداد .

WWW.ATTAWEEL.COM

الاسلام ؛ ادى الى ظهور مجموعات قبلية عربية عديدة في منطقة ميسان في الفترة التي سبقت الاسلام(٥) لعل من اهمها بكر بن وائل وبني حنظلة وتغلب وعبدالقيس . وهناك اشارات اخرى الى قبائل عربية عديدة استقرت او تجونت في هذه المنطقة في الفترة الاسلامية وبعد تحرير العراق واعلان الخلافة العربية الاسلامية .

وهكذا يظهر الطابع العربي لهذا المنطقة عبر عصورها التاريخية . . . بل ان هذه الصبغة العربية تغور في اعماق التاريخ لتصل الى المئة الثانية قبل الميلاد على اقل تقدير .

« اهل ميسان » وحروب التحرير في جبهة العراق :

لقد كان « اهل ميسان » وخاصة بعد تاسيس دولتهم العربية في القرن الثاني قام السد المنيع في وجه الاعتداءات الاجنبية وخاصة الفرثية على العراق . بل ان مؤسس دولة ميسان من اجل تامين استقرار مملكته في سهول بين النهرين توغل شرقا فسيطر على عيلام (الاحواز) ثم توغل في اقليم فارس وكرمان حيث استقرت العديد من القبائل العربية في هذه المناطق . وقد بقيت دولة ميسان العربية جبلا اشماً يصدّ الغزاة ويؤمن الاستقلال والاستقرار لاهل ميسان ولاهل الرافدين عموما حتى حوالي سنة ٢٢٥م(٦) .

ان هذه التجارب الراسخة التي مرت على اهل ميسان عبر القرون كونت لديهم ارثا وقيما تسري في عروقهم مسرى الدماء في النخوة والشهامة والفروسية والولاء لتربة الوطن وحب الارض والحذر كل الحذر من الاجانب الغزاة عبر الاهوار والمضايق الشرقية . وكانت قبائل ميسان خير عون واكبر سند للقائد العربي عتبة بن غزوان المازني وهو يتوغل بجيشه تطبيقا لتعليمات الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لتحرير الاحواز . لقد استطاعت القبائل العربية في ميسان ان تربك العدو الساساني وان تحدث الاضطراب في صفوفه بهجمات تعرضية قتالية في مناذر ونهر تيري وعلى طول خطوط شرقي دجلة(٧) .

كما ساند « اهل ميسان » إخوانهم من قبائل بني العم في الاحواز حين تعرضوا لزحف ساساني كبير بقيادة الهرمزان فارسل عتبة بن غزوان نجدات عربية من البصرة والبطيحة وميسان حيث جرت معركة دموية على جسر (سوق الاحواز) انهزم فيها الهرمزان والفرس ودخلت قوات العرب المسلمين سوق الاحواز وتستر مرة ثانية وطلب الهرمزان الصلح .

ومرة اخرى يبرز « اهل ميسان » لنجدة اخوانهم العرب . . . فقد بادر امير البحرين العلاء ابن الحضرمي الى ركوب البحر نحو شواطىء الخليج العربي الشرقية وفتح اصطخر (بيرسوبوليس) عاصمة الفرس التقليدية دون ان يستاذن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . وقد لقي العلاء وجنده العرب المسلمون مقاومة شديدة وفقد كافة سفنه وحين علم عمر بن الخطاب بالأمر كتب الى عتبة بن غزوان يأمره بنجدة العلاء فانتدب جيشا من اهل البصرة وميسان وسائر البطيحة بقيادة عاصم بن عمرو ومعه عرفجة بن هرثمة وشيخ البصرة وعلمها الاحنف بن قيس . وقد تمكنت النجدة ان تخلص جيش العرب المسلمين المحاصر وتنسحب به الى البصرة بالعراق وان تحقق نصرا جديدا على الفرس الساسانيين(٨) .

« اهل ميسان » والدفاع عن العراق ضد العدون الصفاري الفارسي :

لم تنته النزعة العدوانية والعنصرية الفارسية بعد دخول الفرس الى الاسلام وانضمام بلادهم الى الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الراشدي . بل ان فئة من الفرس استمرت تدبر المؤامرات وتحوك المكايد تحت ستار الدين وبرقع الاسلام .

وفي العصر العباسي الثاني حين ضعفت الخلافة المركزية لم يكتف حكام بلاد فارس بالانفصال عن جسم الدولة العربية الاسلامية وانما عبروا بصورة سافرة عن نزعة عدائية رافقتها تحركات عسكرية جديدة لاحتلال عاصمة الخلافة بغداد .

ويعتبر الصفاريون واميرهم الفارسي يعقوب ابن الليث الصفار اول اسرة فارسية تحدث بصورة فعلية الخلافة العباسية وهددت العاصمة بغداد(٩) .

---

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ص ٦١ . ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٩ ص ١٦٥ ، ١٧٠ .

(٦) راجع : منذر البكر ، المصدر السابق ، ص ١٢ . ـ نزار الحديثي ، المصدر السابق ، ٢٠ فما بعد .

(٧) فاروق عمر ، الخليج العربي في العصور الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٩٤ فما بعد .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥١٩ طبعة دار المعارف . ـ المسعودي ، مروج الذهب جـ ٤ ص ١١٢ .

لقد قاد يعقوب بن الليث الصفار جيشه الفارسي المنظم والكثير العدة والوفير العدد نحو بغداد سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٥م لاحتلالها والعبث بمقدرات الخلافة فيها .

كان يعقوب في بداية حياته صفاراً الا انه وقد نشأ في سجستان المعروفة بمحافظتها على التقاليد المجوسية والفارسية وصعوبة انتشار الاسلام فيها ، اضافة الى كونه طموحا تحركه اطماع شخصية وتراكمات عنصرية فقد استطاع ان يصل الى السلطة في سجستان متخذا من شعار الحفاظ على الارض والاستقرار في الاقاليم ومتبرقعا كالعادة بالدين ليموه على الناس اهدافه . فكان شعاره «لا حكم الا لله» !! كما اعتبر نفسه في البداية موالياً للخلافة في بغداد ومنفذا لسياستها في محاربة الخوارج واللصوص وقطاع الطرق(١) .

لقد كان يعقوب الصفار يدرك في هذه المرحلة حاجته الى العمل ضمن اطار الشرعية العباسية وضمان تأييد الخلافة لتحركاته ... ولكن ما لبثت ان انكشفت اطماعه بعد ان ثبت نفسه وبنى جيشه فبدا يتوسع على حساب اقاليم الخلافة العباسية في مكران والسند وكابل وطرد والي العباسيين على اقليم فارس واحتلها . ومن الواضح ان ميوله التوسعية واطماعه ازدادت مع ضعف الخلافة وكثرة النزاعات بين القادة العسكريين الاتراك في العراق . وقد غطت تحركاته العسكرية اقاليم واسعة من بلاد فارس شملت اضافة الى سجستان كل من مكران وفارس وخوزستان وطبرستان والسند . وقد اكمل الصورة حين ادعى اتصال نسبه بملوك الفرس قبل الاسلام . وهذا الادعاء ذو المغزى السياسي عار عن الصحة ولكنه ينطوي على دلالات مهمة تتصل بتثبيت نفوذه على الاقاليم الفارسية الاخرى وتكشف عنصريته المعادية للخلافة وقيمها العربية الاسلامية الجديدة .

نجح يعقوب الصفار في اكمال سيطرته على الاقاليم الفارسية الجنوبية والشرقية وخاصة بعد قضائه على سلطة الطاهريين الموالين للخلافة في خراسان . وحين سأله امير خراسان عن موقف الخلافة من احتلال الخراسان استل يعقوب سيفه وقال « هذا عهدي » ومعنى ذلك انه لا يعبأ بعهد الخليفة له بحكم خراسان ولايهتم بالشرعية بل ان القوة وحدها هي التي تقرر حركة الاحداث !!

حاولت الخلافة استعمال اسلوب التفاهم والتحذير والتهديد مع يعقوب الصفار من اجل ردعه ، ولما لم ينفع ذلك اقرت بالامر الواقع وجنحت الى السلم فاصدرت مرسوماً بتولية يعقوب على كل الاقاليم التي سيطر عليها بالقوة وقد حمل المرسوم وفداً ارسل خصيصا من بغداد . الا ان يعقوب رفض عرض الخليفة السخي واعلن امام الوفد وبوقاحة بالغة انه سيسير بجيشه الى بغداد .. وهناك في بغداد يقرر ما يريد !!

كانت الخلافة العباسية في عهد المعتمد مشغولة بحركة عارمة في منطقة البطيحه هي حركة الزنج وبحركة الخوارج في شمال العراق في اقليم الجزيرة الفراتية ... ولهذا تجنبت فتح جبهة جديدة وبادرت بارسال وفود اخرى جديدة تحاول اقناع يعقوب الصفار بالجنوح الى السلم والتفاوض . ولكن وبدافع من عقدته الفارسية الدفينة أصر على الحرب وصمم على خوضها .

اخترق الصفار حدود العراق الشرقية شرقي البصرة قادما من الاحواز ثم تقدم نحو واسط ودخلها ثم تقدم باتجاه بغداد حيث عسكر في (دير العاقول) على بعد خمسة عشر فرسخا من بغداد . على ان جيش العباسيين بقيادة الخليفة واخيه الموفق طلحة كان للفرس بالمرصاد . وقد اثار قادة الجيش العباسي الحمية والنخوة بين الجند وربطوا مصير المعركة بمصير العراق والدولة ...

« ما هو الا ان تنتصروا او تنهزموا فلا ترجع اليكم دولتكم » .

كما خاطب احد قادة الجيش العباسي جند الصفار قبل بدء المعركة فقال :

« يا اهل خراسان وسجستان ما عرفناكم الا بطاعة السلطان [اي الخليفة العباسي] ... ومانشك الا ان هذا الملعون قد موه عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب إليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لمحاربته فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه » ..

ورغم ان هذا الخطاب لم يكن له استجابة آنية من جيش الصفار الذي كان اغلبه من اهل بلاد فارس الا ان اثره ظهر في قلة حماسة عدد لابأس به من الجند وهروبه من المعركة واستسلامه بعد التحام الجيشين .

ابتدا الفرس بالهجوم العام فشدت ميسرة الصفار على ميمنة جيش العراق فتمكنت منها حيث انسحبت الميمنة ولكن الموفق اخا الخليفة بقي

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، احداث سنة ٢٦٢هـ .

ثابتا في مواقعه مماجعل جند الميمنة يتماسكون ويكرون راجعين الى مواقعهم حيث استعادوها من الفرس . وهنا كشف الموفق عن راسه وردد اهزوجته انا الغلام الهاشمي .. وامر بالهجوم العام لجيش العراق جيش الخلافة ؛ فكانت معركة ضارية وشرسة تخللتها هجمات طويلة من الجانبين. وقتل فيها عدد كبير من الطرفين . ثم كانت هزيمة الصفار وجنده الفرس باتجاه اقليم فارس يتعقبهم جند العراق . وقد استولى الجيش العراقي واهل القرى على الكثير من امتعة وذخائر الفرس .

استخدم الموفق في معركة دير العاقول اساليب حربية كانت من اسباب هزيمة الفرس فقد فجر نهر السيب فحاصرت المياه جيش الصفاريين ؛ كما اضرم النار في معسكره وذخيرته فهاجمت الخيول والبغال والجمال وولت الادبار . ثم ان حضور الخليفة بنفسه وولي عهده الموفق زاد من المعنويات . هذا اضافة الى ان جند العراق كانوا يدافعون عن ارضهم وعن دولتهم(١١) .

لقد توهم يعقوب الصفار ان احتلال العراق امر سهل وان العراقيين سيستسلمون دون معركة ففي رواية تاريخية انه قال : « لم اعلم اني احارب ولم اشك في الظفر وتوهمت ان الرسل ترد الي » !!

وهكذا اندحر هذا العنصري الدجال بفضل يقظة اهل العراق وجند الخلافة العباسية عامة واهل ميسان وواسط خاصة وتضحياتهم الكبيرة من اجل تربة الوطن وقيم الاجداد ومثلهم وتراثهم الانساني .

مشاركة « اهل ميسان » في التصدي للاطماع البويهيه في العراق :

ويمضي تاريخ العراق حاملا بمظاهر العمران والتقدم الحضاري الا انه وبنفس الوقت يواجه محاولات العدوان الفارسية ... فالفعل الحضاري العراقي يجابه وباستمرار برد فعل عدائي عسكري فارسي .

(١١) حول هذه الاحداث راجع : فاروق عمر ، العقيدة الفارسية ومحاولات الفرس العدوان على العراق ، الرسالة الاسلامية ، ١٩٨٥ . ـ نفس المؤلف ، العراق والتحدي الفارسي ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، يصدر قريبا .

وتشير سجلات التاريخ هذه المرة الى صمود العراقيين عامه واهل ميسان وواسط والبطيحة الذي لا يقهر في وجه محاولات التسلط الفارسية البويهيه . وتشهد معارك (مضايق البطيحة) واهوار ميسان وواسط اروع صور الملاحم البطولية في مقاومة التسلط البويهي على العراق ، وتقول مصادرنا التاريخيه ان رمز المقاومة العراقية هو عمران بن شاهين السلمي بطل من سواد العراق من اهل الجامدة وهم جزء من اهل واسط وكورة ميسان العربية ، على قدر كبير من الكفاءة والاقتدار والطموح والرؤية الواضحة للاحداث بحيث قاد المقاومة العربية ضد العدوان البويهي الجديد(١٢)

والمعروف عن البويهيين انهم سلالة ديلمية من بلاد فارس برزوا كجنود مرتزقة مغامرين حاربوا في صفوف الامارات الفارسية التي نشات في المشرق الاسلامي ، وتدرجوا في مناصب الجيش ثم استغلوا الضعف السياسي فثبتوا سلطتهم على حساب الخلافة العباسية وكونوا امارة بويهية في غربي ايران .

على ان احمد بن بويه كان قد استغل ظروف الفوضى السياسية والاقتصادية واحتل الاحواز ثم انتزع البصرة وواسط من نفوذ امراء البويهيين وبعد عدة محاولات فاشلة للزحف نحو بغداد والسيطرة عليها نجح احمد بن بويه باحتلال بغداد في غفلة من الزمن يدخلها دون مقاومة تذكر بسبب ضعف الخليفة العباسي وعدم وجود جيش قوي بامرة السلطة المركزية العباسية(١٣) .

اسس البويهيون امارة ورائية في قلب الخلافة العباسية في بغداد يسندهم في ذلك جيش اجنبي من المرتزقة الفرس والديلم والترك . وتقلد احمد بن بويه الذي اصبح يلقب بمعز الدولة منصب امير الامراء واصبحت الخلافة العباسية ببغداد مؤسسة شكلية لم يبقها معز الدولة الا لاعتبارات سياسية ومصلحية خاصة .

واذا كانت السلطة المركزية للخلافة العباسية غير قادرة في تلك الفترة على التصرف تجاه الغزو الفارسي الجديد فان اهل العراق لم يقفوا مكتوفي الايدي تجاه ذلك بل على العكس فقد ظهرت العديد من جيوب المقاومة العراقية للحكم البويهي في

(١٢) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ص ١١٩ . ـ ابن الاثير، الكامل ، جـ ٨ ص ٤٨١ .
(١٣) فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١١ فما بعد .

العراق الذي دام من سنة ٣٣٤هـ الى سنة ٤٤٧هـ، اي اكثر من قرن من الزمان وتمثلت هذه المقاومة في عدة مظاهر وظهرت في عدة مواقع هناك في قلاعها فلا تصلها ايدي جند البويهيين .

كما تمثلت المقاومة العراقية بقبائل غربي الفرات حيث استوطنت عدة قبائل منها قبيلة بني اسد بزعامة ضبة بن محمد الاسدي والذي كان يهاجم السلطة البويهية المحتلة لمدن الفرات الاوسط والجنوبي ثم ينسحب الى حدود الصحراء الغربية ويتحصن في عين التمر وما حولها حيث لا يجرؤ جند الديلم على خوض حرب صحراء مدمرة مع القبائل العربية المتمرسة على قتال الصحراء والتي تعرف طرقها واماكن المياه العذبة فيها .

على ان الذي يهمنا في هذا البحث هو المقاومة لأهل ميسان وواسط والبطيحة بالقيادة العراقية الباسلة لعمران بن شاهين السلمي في منطقة البطيحة بسواد العراق (العراق الجنوبي) تلك الثورة التي استمرت مدة طويلة شملت حكم الامراء البويهيين الاوائل ولم يستطع حتى رجل البويهيين القوى عضد الدولة البويهي الذي حكم من ٣٦٧هـ ـ ٣٧٢هـ ان يقضي على الثائر العربي عمران السلمي بل اضطر في نهاية المطاف ان يعترف به اميراً على البطيحة كما سنرى .

وهكذا اثبت عراق العروبة انه شوكة في جنب البويهيين الدخلاء ، واثبتت القبائل العراقية في ميسان وغيرها انها عقبة في وجه الحكم البويهي الدخيل وحائلا دون استقرار الادارة البويهيه في العراق .

استغل عمران بن شاهين ضعف سلطة معز الدولة في بداية حكمه في بغداد واصطدامه بالحمدانيين في الجزيرة الفراتية (شمالي العراق) فتحصن في منطقة البطيحة ونجح في كسب العديد من الاتباع حوله من القبائل وسكان القرى في هذه المنطقة وما حولها من ميسان وواسط والاحواز .

والمعروف عن هذه المنطقة كثرة الاهوار والمستنقعات التي تغذيها مياه دجلة والفرات وتوابعهما . وتغطيها نباتات البردي والشجيرات والاعشاب مما جعل طرقها النهرية السالكة ضيقة وشاقة لا تمخر فيها الا القوارب والمجاذيف الصغيرة وهذا يجعل دون شك من الصعب على جيش نظامي ان يتغلغل فيها ناهيك ان يكون هذا الجيش اجنبياً مثل الجيش البويهي بينما جعل من السهل على اهلها ان يدافعوا عنها .

بعد ان اطمأن عمران بن شاهين السلمي الى قوته في البطيحة تفاوض مع البويهيين من امراء الاحواز لكي يطمئن الى سلامة حدوده الجنوبية الشرقية ، فاعترفوا به اميرا على بعض مناطق البطيحة غربي الاحواز التابعة للبطيحة وقد زاد ذلك دون شك من نفوذ عمران بن شاهين وقوى من معنوية اتباعه وكسب له انصاراً جدداً وعندئذ اعلن ثورته على النفوذ البويهي في العراق سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م .

اثار هذا العمل معز الدولة البويهي في بغداد ولما ينقض بعد اربع سنوات فيها فاعد جيشا كبيرا بقيادة وزيره محمد بن احمد الصيمري وقد خاض الطرفان عدة معارك والحق بعضهم بالآخر خسائر كبيرة ، ورغم ان عمران السلمي خسر العديد من اولاده واهل بيته في هذه المعارك ورغم انه كان يواجه جيشا نظاميا شرسا مكونا من جنود مرتزقة محترفين على القتال الا انه صمد في وجه العدوان اذ ساعدته طبيعة البطيحة على المقاومة مساعدة كبيرة(١٤) .

لم تنته العمليات العسكرية في السنة الاولى الى نتيجة مرضية او حاسمة لكلا الطرفين المتحاربين وقد اضطر معز الدولة لانهاء العمليات العسكرية بسبب اضطراب الاحوال بفارس حيث امر وزيره الصيمري بالتوجه نحو شيراز وضبط امورها .

وحين استؤنفت الحرب ثانية سنة ٣٣٩هـ اي في السنة التالية كان جيش البويهيين كبيراً . اما عمران السلمي فكان قد استعد للامر واخذ حيطته مستفيدا من التجارب السابقة فدارت بين العرب والفرس معركة حامية انتصر فيها عمران السلمي والحق هزيمة نكراء بروزبهان وجيشه . ويشير ابن الاثير الى هذا الدرس القاسي الذي لقنه عمران العربي لروزبهان قائد البويهيين فيقول :ـ

وتحصن (عمران) منه في مضايق البطيحة فضجر روزبهان ، واقدم عليه طالبا المناجزة فاستظهر عليه عمران وهزمه واصحابه وقتل منهم وغنم جميع ما معهم من السلاح والات الحرب فقوي بها وتضاعفت قوته(١٥) .

---

(١٤) العيون والحدائق ، ج ٤ ص ١٩٠ . ـ مسكويه ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٢٠ .

(١٥) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ص ٨٢ فما بعد .

لقد كان من نتائج هذه المعركة تعاظم نفوذ عمران السلمي فسيطر على منافذ الطرق وجبيت الغرائب والاموال اليه من اهل المنطقة كما قطع الطرق المؤدية بين بغداد والبصرة وبهذا ضيق الخناق على الحكم البويهي في بغداد وتجاه هذا الوضع اضطر معزالدولة البويهي الى ارسال حملة جديدة يقودها روزبهان الديلمي ووزير معزالدولة (المهلبي) ولكن المنافسة بين القائمين احبطت جهود الفرس البويهيين للقضاء على ثورة عمران السلمي والحقت خسائر كبيرة بجيش المهلبي الذي كاد ان يلقى حتفه في المعركة . يقول ابن الاثير :ـ

« فزحف (المهلبي) الى البطيحة وضيق على عمران وسد المذاهب عليه فانتهى الى المضايق التي لا يعرفها الا عمران واصحابه واحب روزبهان ان يصيب المهلبي بما اصابه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر والفتح واشار على المهلبي بالهجوم على عمران فلم يقبل منه فكتب الى معزالدولة بعجز المهلبي وانه يطاول لينفق الاموال ويفعل مايريد فكتب معزالدولة بالمتب والاستبطاء . فترك المهلبي الحزم ودخل بجميع عسكره وهجم على مكان عمران . وكان قد جعل الكمناء في تلك المضايق وتاخر روزبهان ليسلم عند الهزيمة فلما تقدم المهلبي خرج عليه وعلى اصحابه الكمناء ووضعوا فيهم السلاح فقتلوا وغرقوا واسروا وانصرف روزبهان سالما هو واصحابه والقى المهلبي نفسه في الماء فنجا سباحة . واسر عمران القواد والاكابر فاضطر معزالدولة الىمصالحته(١٧).

لقد كانت معركة « مضايق البطيحه » من اشد المعارك على الجيش البويهي واقساها حيث الحقت به خسائر كبيرة وقد دعا هذا الفشل في المعركة معزالدولة البويهي الى الموافقة على كافة شروط عمران بن شاهين بتبادل الاسرى واطلاق من عنده من اهل عمران واخوته والاعتراف بعمران اميرا على البطيحة . وتشير رواية تاريخية الى ان عمران « قوى واستفحل امره » . اما جيش البويهيين الفرس فقد انسحب الى واسط ، اما من جهة عمران بن شاهين فان عملياته العسكرية لم تنته بعد صلح سنة ٣٤٠هـ ـ ٩٥١ م بل استمر يوسع نفوذه فيعرقل محاولات البويهيين لاحكام سيطرتهم على جنوبي العراق كما هدد طرق المواصلات بين بغداد ـ البصرة ـ الاحواز .

سيّر معزالدولة البويهي جيشا جديدا سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م اسند قيادته الىالعباس بن الحسين الشيرازي وصاحب معزالدولة الى واسط ثم شرع بخطة جديدة للقضاء على مقاومة القبائل العربية للحكم الفارسي وبذلك يسد جميع الانهار والترع التي تجرى نحو البطائح . ولكن مقاومة عمران بن شاهين ومرض معزالدولة جعله يغادر المنطقة الى بغداد ويتوفى هناك سنة ٣٥٦هـ / سنة ٩٦٦م . وقد جدد البويهيون الصلح ثانية مع عمران بن شاهين بنفس الشروط السابقة .

من خلال ماتقدم نلاحظ ان معزالدولة البويهي وحتى وفاته سنة ٣٥٦ هـ لم يكن بمقدوره أن يعمل شيئا تجاه ثورة العرب في البطيحة بزعامة عمران ابن شاهين السلمي ، تلك الثورة التي استمرت اكثر من عشرين سنة اي طيلة مدة حكمه .

خلف عزالدولة البويهي اباه في السلطة ببغداد وكانت البطيحة لا تزال تتمتع بنوع من الاستقلال عن بغداد بسبب استمرار ثورة العرب بقيادة عمران ابن شاهين السلمي وتحديه للسلطة البويهية في العراق .الا ان الازمة المالية الخانقة والشغب بين فرق الجيش البويهي ببغداد وضرورة اشغال الناس بشيء ما دفعت عز الدولة البويهي الى اشعال نار الحرب ثانية مع عمران بن شاهين . فالحرب مخرج جيد يشغل بها الجند البويهيينبدلا من التصادم فيما بينهم كما وانها عذر مهم لكي لا يطالب الناس بتحسين ظروف حياتهم المعاشية والخدمات اليومية .

وهكذا تحرك عزالدولة البويهي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م على راس جيش كبير من بغداد مسندا قيادة الجيش الى وزيره العباس بن الحسين الشيرازي.

---

(١٦) المصدر السابق .

وقد أقام عزالدولة في النعمانية بينما تقدم الجيش البويهي بقيادة الشيرازي نحو البطائح . ورغم استخدام البويهيين بدعاً جديداً في حربهم في البطيحة الا انهم لم يكسبوا الحرب بسبب معرفة عرب البطحية بطبوغرافية المنطقة وعدم تزويد الجيش البويهي بالسفن ، ورداءة الاحوال الجوية وانقطاع التموين . ولذلك ضجر الجند البويهيون « وتناولوا الوزير بألسنتهم وهموا بالايقاع به ، وتحالف الديلم والترك ضده » . بل انهم « ابوا ان يقيموا اكثر مما قاموا » . وقد ادرك عز الدولة ان تكاليف الحرب اكثر من الضرائب او الاموال التي سيأخذونها من عمران بن شاهين فيما اذا انتصر عليه وهو احتمال ضعيف جدا(١٧).

وهناك عامل آخر له اهميته الكبيرة في انهاء الحرب مع عمران فقد ساند اهل بغداد ثورة عمران وكثرت اعمال المقاومة والاضطرابات في المدينة وبدا ائمة المساجد ينددون بالبويهيين الذين تركوا جهاد الكفار (البيزنطيين) على الحدود الشمالية وفسحوا لهم المجال باحتلال مدن من الجزيرة الفراتية (شمالي العراق) وشغلوا انفسهم بحرب المسلمين من امثال عمران بن شاهين السلمي والحمدانيين .

كل هذه العوامل دفعت عزالدولة البويهي الى العودة الى بغداد مسرعا بعد ان عقد صلحا مع عمران بن شاهين ورغم ان عزالدولة طلب من عمران السلمي دفع مبلغ خمسة ملايين درهم سنويا الا ان عمران رفض ذلك ولم يتعهد بدفع اية ضريبة للبويهيين مقابل اعترافهم به وقد عزز هذا الوضع مواقع عمران بن شاهين وبرز كقوة واضحة ومؤثرة في المعترك السياسي حتى ان عزالدولة بدأ يحاول الاستفادة من قوته لتعزيز مركزه ضد مراكز القوى سواء في الجيش البويهي أو الاسرة البويهية . فقد وقف عمران بن شاهين امير البطيحة محمد بن بقيه امير واسط وتكريت وعكبرا الذي ثار على الحكم البويهي وساهم بجيشه في المعركة التي دارت بين جيش ابن بقية وجيش البويهيين وتكبد جيش البويهيين فيها هزيمة شنيعة . والملاحظ ان هذه الحركة من جانب عمران بن شاهين تعتبر حركة ذكية لشق الصف البويهي وتمزيقه بمساعدة طرف على آخر وبالتالي اضعاف الحكم البويهي في العراق.

حين جاء عضدالدولة البويهي الى السلطة في بغداد سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م كان عمران بن شاهين لايزال مسيطرا على البطيحة ، متمتعا بنفوذ قوي في جنوب العراق بعد ان فشلت كل محاولات البويهيين لانهاء ثورته وسيطرته على البطيحة(١٨).

وقد شجع صمود عمران بن شاهين والقبائل التي تحت زعامته على ثورة العديد من القبائل العراقية على السلطة البويهية الفازية مثل بني شيبان وبني اسد فكان لابد لعضدالدولة رجل البويهيين القوي ان يتفرغ لعمران بن شاهين في البطيحة ليقضي على الراس قبل استفحال الخطر والقضاء على الحكم البويهي في العراق ولكن في محرم سنة ٣٦٩هـ/٩٧٨م توفي عمران بن شاهين وبهذا انتهت حياة بطل من ابطال المقاومة العراقية للبويهيين الفرس(١٩).

لقد شجعت وفاة عمران بن شاهين عضدالدولة على مهاجمة ابنه الحسن بن عمران فقاد وزير عضدالدولة المدعو المطهر الجيش الجرار الى البطيحة .

وعندما يئس القائد المطهر من الحاق الهزيمة بالحسن بن عمران ونفذ صبره وكان ذا مزاج حاد انتحر خوفا من العقاب الذي ينتظره من عضد الدولة البويهي . وقد اجبر هذا الوضع عضدالدولة على عقد معاهدة صلح جديدة مع الثوار .

واستمرت امارة بني سليم بقيادة عمران بن شاهين وخلفائه من بعده صامدة ضد البويهيين الفرس طوال عهود الامراء البويهيين الاوائل رمزا للمقاومة العراقية الصلبة ضد الغزو الاجنبي للعراق حتى ادرك البويهيون ان اقامتهم في بغداد لا جدوى منها بل على العكس ، فان العراق العربي استنفد الكثير من جهودهم في حرب طويلة ومعارضة مستمرة ومقاومة عنيدة ولذلك انتقل بهاءالدولة الابن الثالث لعضدالدولة الى شيراز ببلاد فارس وكان في نقله مقره الى شيراز مجبرا لا مخيرا واعترافا ــ ولو كان متأخرا ــ من البويهيين بفشلهم في السيطرة على العراق واهله .

---

(١٧) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ص ٢٩٥ .

(١٨) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٤٧ .

(١٩) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ص ٨٢ فما بعد .

shwaihy

الخاتمة / الدروس المستنبطة :

ان مقاومة العراقيين من اهل ميسان وواسط والبطيحة للفرس البويهيين ماهي الا حلقة في سلسلة طويلة من معاركنا دفاعا عن الارض والعرض والتراث بكل مبادئه وقيمه العربية الاسلامية والانسانية اولا كما انها ـ ثانيا ـ مظهر من مظاهر المقاومة الشاملة للبويهيين ؛ تلك المقاومة التي ابرتها اقاليم عربية اخرى مثل عمان والبحرين حيث حاول البويهيون الفرس مد سيطرتهم عليها .

وهنا لابد من كشف حقيقة تاريخية كبيرة وبارزة طالما طمرت في بطون كتب التاريخ وسجلاته وهي ان جبهة الخليج العربي واقطاره مثل البحرين وعمان ظلت آمنة مطمئنة من اي عدوان فارسي ولمدة خمس عشرة سنة بين ٣٤٠هـ/٩٥٢م ـ ٣٥٤هـ/٩٦٥م حيث كان عمران بن شاهين السلمي واهل العراق السد المنيع في وجه الاطماع البويهية في الخليج العربي ولكن بعد ان توفي عمران بن شاهين وتغير الاوضاع على المسرح السياسي وجد البويهيون مجالا لارسال حملات عسكرية الى عمان واتفقوا بذلك مع القرامطة الباطنية في اقتسام النفوذ السياسي والاقتصادي في مناطق الخليج العربي . الا ان كلا من القرامطة والبويهيين فشلوا في النهاية في ايجاد او تثبيت موطىء قدم دائم لهم في هذه الاقاليم الخليجية العربية ابتداءا من العراق وانتهاءا بعمان .

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة :

- الشعر الصوفي ـ عدنان حسين العوادي
- دير الملاك ـ د . محسن اطيمش
- التركيب اللغوي عند السياب ـ د . خليل ابراهيم العطية
- ابن طفيل قضايا ومواقف ـ مدني صالح
- اعلام العرب في الكيمياء ـ د . فاضل احمد الطائي
- ابن الأثير ـ د . فيصل السامر

WWW.ATTAWEEL.COM